كالبعض في القدر ولم يخالف في ذلك الا ابن حزم فقال في الملل والنحل ان
الله تعالى قادر على ان يتخذ ولدا ولو لم يقدر عليه لكان عاجزا ورد عليه بان
اتخاذه محال والمحال لا يدخل تحت القدرة والكتاب والسنة طافحان بالدلالة له
على شمول قدرته لما ذكر المصنف قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وخلق
كل شيء فقدره تقديرا وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله اي بقضائه به
وقدره ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها ونبلوكم بالشر والخير فتنة واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وفي الحديث الصحيح كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس
كذلك قال الخطابي قد يتوهم كثير من الناس ان معنى القدر من الله هو يتوهم
الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره وليس كذلك وانما
معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من افعال العباد
واكتسابها وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها
وخالف المعتزلة في ذلك فقالوا ان الامور مستأنفة لمشيئة العبد
وهو مستقل بها من غير سبق قضاء ولا قدر ولذلك قيل لهم القدرية
لانهم نفوا القدر وجاء في الحديث القدرية مجوس هذه الامة وذلك
لجعلهم انفسهم مستبدين بافعالهم خالقين لها فكانهم يثبتون خالقين
خالقا للخير وخالقا للشر كما اثبتت المجوس خالقين وقد قال امامنا
الشافعي رضي الله عنه القدرية اذا اسلموا العلم خصموا ومعناه انهم
ان انكروا علم الله في الازل بما يكون كفروا وان اعترفوا به فيقال لهم هل
يجوز وقوع الامر على خلاف العلم القديم فان جوزوه لزم نسبة الجهل
الى الله تعالى الله عن ذلك وان لم يجوزوه فلا معنى للقدر الا ذلك قال ابن
الحاجب رحمه الله وهذا من احسن الارشاد الى الدليل عليهم قال ومراده بقوله
اذا سلموا العلم انهم قد يعترفون به لان معتقد ذلك مقطوع بكفره قال ابو القاسم
القشيري حقيقة القدر ما يتقدر بها المراد على حسب قصد الفاعل في الوقوع ثم
جهة الوقوع تختلف الى خلق وكسب فقدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد
تصلح للكسب الثانية ان علمه تعالى شامل لكل معلوم ممكنا او ممتنعا
جوهرا او عرضا وجودا او عدما جزئيا او كليا واجبا او جائزا او
مجملا ومفصلا او حادثا يعلم ذلك بعلم واحد قديم لا يتعدد بتعدد
المعلومات ولا يتجدد بتجددها ليس بمكتسب ولا ضروري

قال تعالى

11

قال تعالى احاط بكل شيء علما وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس الا في كتاب مبين عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين واتفق المسلمون على انه تعالى يعلم دبيب النملة
السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وان علمه محيط بجميع الاشياء جملة وتفصيلا
وكيف لا وهو خالقها وقال تعالى الا يعلم من خلق وخالف الفلاسفة فقولهم انه
يعلم الكليات لا الجزئيات لانها تتغير بتغير الازمنة والاحوال والعلم تابع للمعلومات فيلزم تغير علمه
وهو قائم بذاته فيكون محلا للحوادث وهو محال وتابعت الكرامية لهذه الشبهة
فالتزموا انه تعالى محل الحوادث وظنوا انه لا يتم اثبات العلم مطلقا الا بذلك فتوغلوا
من ضلالة الى ضلالة والمتكلمون من اهل السنة فرقتان فرقة قالوا لا يحصل بذلك
تغير في علمه فان العلم بانه سيوجد زيد هو العلم بوجوده في زمن الوجود
فانه اذا علم ان فلانا في الجزء الفلاني من النهار قاعد وفي الجزء الفلاني مضطجع
وفي الجزء الفلاني قائم وفي الجزء الفلاني ماش فكانت حالته في كل جزء من
النهار ما علم تعالى كونه عليه في تلك الحالة فلا تغير في العلم فان العلم
سابق على ذلك التغير وانما يحتاج الخلق الى علم اخر لطريان الغفلة عليهم وفرقة
التزموا التغير وقالوا انما يمتنع في الصفات الحقيقية دون الاضافية
والتغير في الاضافية لا يوجب تغيرا في الذات ومثل بعضهم هذا باسطوانة
مثبتة في مكان قام انسان عن يمينها فعلنا الاسطوانة عن يساره ثم تحول الى
جانب اخر فعلنا صارت عن يمينه ثم تحول الى غيرها فعلنا صارت امامه او وراءه
فالاسطوانة لم تتغير وانما المتغير المنتقل وصدقت هذه الاعتبارات عليها
بالاضافة فكذا اذا قلنا الله تعالى عالم الان بما نحن عليه وقد كان عالما بما كنا عليه امس
وسيكون عالما بما نكون عليه غدا فالتغير جار على احوالنا والمراد بالامس والغد
واليوم وغدا في معنى كونه عالما في جميع الاحوال على حد واحد وذهب الدهرية الى
انه لا يعلم ذاته نحن نشاهد من تحقق كمال قدرته وعلمه ان نكون مكتفيا بعلمه
عند حربا انه حكمه عليه كما عن السعي في الدنيا كما في قصة السيد الخليل
ابراهيم الخليل حين تعرض له جبريل عليهما السلام وهو في الهواء حين رمي بالمنجنيق
فقال له هل من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي
قيل لبعض الموفقين اطلب الرزق فقال ان علمت اين هو طلبته فقال اسأل

قلت على الوجه الكلي لا الجزئي لا يدرك على الوجه الجزئي المتغير فان الجزئيات

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)